وهكـــذا فـــإن بـــني قينقاع نبذوا عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحاربوا وتحصنوا في حصنهم[1]، وكانوا أول يهود حاربت[2].

إن العـــرض السابق لمرويات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني قينقاع ليس محاولة للدفاع عن بني قينقاع ولا لتبرئة ساحتهم. فاليهود عموماً عُرف عـــنهم المكـــر والخـــداع ونقض العهود. والقرآن الكريم أصدق شاهد على ذلك وحاضـــر اليهـــود وما يفعلونه في فلسطين وفي غيرها شاهد صدق على ما جاء في القرآن عنهم، ولكن الذي تحاول هذه الدراسة الوصول إلى معرفته هو طبيعة الجناية التي قام بها بنو قينقاع حتى استحقوا عقوبة الجلاء.

ليس في الروايات التي سبق عرضها ما ينبئ على وجه دقيق عن طبيعة الجُرم الذي ارتكبه يهود بني قينقاع، حيث إن قصة المرأة في سوق بني قينقاع لا تعد من الناحية المنطقية سبباً كافياً لمعاقبة بني قينقاع. أما أن يتحرش اليهود بالرسول صلى الله عـــليه وســـلم وأصحابه بعد مرجعه من بدر منتصراً واستدراجه للحرب فأمر مســـتبعد تماماً، فلو أن ذلك تمَّ قبل بدر لأمكن قبوله ولو تم بعد غزوة أُحد لأصبح أكـــثر قـــبولاً لا سيما أن وضع الرسول السياسي أصبح حينذاك حرجاً وذلك من الناحية العسكرية على الأقل فقد، أصبح أقل قوة منه في يوم بدر مما أغرى الأعداء بالنيل من هيبة المسلمين[3]. أما بعد بدر فإن الأمر صار مختلفاً تماماً ومن المستهجن أن يحدث مثل هذا التصرف من اليهود لأنه يدل على الطيش والحمق وقصر النظر.

---

(١) الواقدي: المغازي، ١٧٧/١، وقارن ابن هشام: السيرة النبوية، ٥١/٣، وانظر أقوال المفسرين في معنى نبذ العهد لدى القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣١/٨-٣٢.

(٢) الواقدي: المغازي، ١٧٧/١.

(٣) انظر مثلاً: يوم الرجيع سنة ٣هـــ وكذلك بئر معونة في صفر سنة ٤هـــ، عند: ابن هشام: السيرة النبوية، ١٧٨/٣ - ١٩٣ — ١٩٩ .